ديرالزور والعنف

أسـبـاب الانـضـمـام

شباط/فبراير 2019

منظمـة العدالة من أجل الحياة

Justice For Life Organization

JFL

ديرالزور و العنف

أسباب الإنضمام

الباحث الرئيسي: د. ابراهيم شلهوب

مدير المركز الدولي للدراسات النفسية الاجتماعية

إشراف و تنفيذ:

شباط/فبراير 2019

المحتويات

ملخص _____ 5

لماذا البحث ؟ _____ 6

مقدمة _____ 7

لماذا دير الزور ؟_____ 8

المنهجية: _____ 9

1- البحث النوعي: _____ 9

2- الاستبيان _____ 9

3- الباحثين _____ 10

4- الحيّز الجغرافي الذي تغطّيه الدراسة _____ 11

5- معيار التضمين و الإقصاء _____ 11

الصعوبات _____ 13

النتائج: _____ 14

الخلاصة: _____ 17

التوصيات: _____ 18

مسرد_____ 20

ملخص

خلال الأزمة السوريّة الرّاهنة، نُظِرَ إلى العوامل الاجتماعيّة و الاقتصاديّة على سبيل الخطأ أنّها المحرّك الرئيسي الذي يدفع الناس للالتحاق بتنظيمات عنفيّة.

اعتمدت المنظّمات غير الحكوميّة – المحليّة و الدوليّة منها - في هذا الجزء من الشرق الأوسط على هذا النهج المشوب بمقاربتهم للتوظيف والتحشيد للمجموعات المتطرفة.

نتجت مغالطتين اثنتين: الأولى هي الفشل في الإقرار بالجوانب الثقافية المتّصلة بمجتمع معيّن، و الثانية هي إهمال العوامل النفسيّة التي تقود أشخاصاً بعينهم، دون سواهم، إلى التطرّف.

تتعامل الحقيقة الأخيرة مع القابلية النفسيّة. إنّها السبب وراء إلتحاق البعض بتنظيمات متطرّفة بينما أشقّاؤهم على سبيل المثال لم يقوموا بذلك. إنّ المتغيرات الاجتماعية التي اعتُبِرَت خطأً على أنّها الأسباب لهكذا سلوك هي في حقيقة الأمر عواملاً ميّسرةً له. استعرضت هذه الدراسة الاسترشادية العوامل الميّسرة أثناء تطبيق النسبوية الثقافية، و هي دراسة الثقافة من الداخل خلال محاولة فهما بناءً على معاييرها الخاصة أكثر من معايير الباحث.

من خلال منهجية نوعيّة، استعرضت الدراسة العوامل النفسيّة المتصلة بتنشئة الناس في دير الزور، و التي دفعتهم نحو الالتحاق بـ "داعش" أو "جبهة تحرير الشام" تحت ظروف اجتماعيّة و اقتصاديّة للأزمة السوريّة، و التي تؤثر على ثقافة سوريّة فرعيّة معيّنة.

خلال المقابلات التي أجريت ، تم تناول الأسباب المرافقة منذ الطفولة و التي تقود للانخراط في تنظيم عنفي. وتبيّن أنّ المشاركين قد كُبتوا من قِبل عوائلهم في مرحلة الطفولة. لم يكن يُسمَح لهم بأن يكونوا مبادرين في في عملية اتخاذ قراراتهم عندما أصبحوا مراهقين، و تتضمّن تجربتهم في المنزل مشاهدات لصراعات بين الوالدين، إضافة لقصور في سُلطة الأب المطلوبة و امتلاكهم لرابط قوي تجاه الأم. فضلاً عن ذلك، فإنّ أغلب الشباب محل الدراسة كان لديهم كبتاً جنسياً؛ حيث خضعت علاقاتهم مع أقرانهم الإناث للحظر المفروض عشائرياً. إنّ هذا من أهمّ الأسباب التي تجعل من هؤلاء الذكور محطّ استغلال من قِبل التطرّف. يغدو التطرّف جوهرياً في حياة هؤلاء الأشخاص إن كان من منظور تحليل نفسي للدوافع الداخلية المتضاربة أو النهج الديني الواعد لهم بحورٍعين في الآخرة. إنّ اضطراب الهويّة ملحوظ لدى العيّنات البالغة محل البحث. كان لدى المشاركين "أنا" بالغة المرونة. كانت "ضمائرهم" مشوّهة بالسياق العشائري الذي يعزز الكراهية ضد الذين لا ينتمون لنفس الثقافة الفرعية. الآخرين على خطأ و يستحقون الفناء. هذا ما سهّل على التطرّف التلاعب بهؤلاء الأشخاص و دفعهم نحو الالتحاق.

استناداً على النتائج، من المحبّذ توسيع الدراسة الاسترشاديّة إلى بحث نوعي يتضمن أهميّة إحصائية. كما من المحبّذ أيضاً تناول عيّنات من الإناث و مقارنة نتائج محتملة مع نظيراتها من الدراسة الاسترشاديّة. علاوةً على ذلك، فإنّه من المطلوب إجراء دراسة مقارنة للتأكد من قابليّة التكرار للمخرجات في مناطق مثل الرقّة و الحسكة. ختاماً، من المستحسن تطبيق مقاربة بديلة لمنع مشاركة إضافية لأشخاص في تنظيمات متطرّفة عن طريق انعكاس الأخيرة خلال ما يمكن تسميته " خلايا سلام غير عنفيّة".

لماذا البحث ؟

حظيت العديد من المشاريع في سورية بفرصة التمويل. تعاملت هذه المشاريع مع الحلول الحاليّة و المستقبلية التي تعالج أثر الحرب على عامّة الناس.

كان الدافع وراء تنفيذ مثل هذه المشاريع هو تجربة سابقة في مناطق أخرى من العالم نالت نصيبها من الحرب. اعتمد قياس نجاعة هذا النوع من المشاريع على التقييم الكمّي، بينما تم إغفال التأثيرات الثقافية بشكل شبه كامل. علاوة على ذلك فإنّ هذه المشاريع اعتمدت على اعتبار المتغيرات الاجتماعية أسباباً رئيسية ، إن لم تكن الوحيدة، وراء سلوك السكان.
في سبيل تجنّب أرقام إحصائية مضللة قائمة على هذه التقديرات فإنّ الدراسة البحثية لا غنى عنها لوضع أسس لفهم مالذي حدث و لماذا، و بالتالي كشف المتغيرات الحقيقية و الأسباب المساهمة في حقيقة اجتماعية ما. ألا وهي الاعتناق و الالتحاق بتنظيمات عنفيّة.

السبيل الوحيد الذي من شأنه تحقيق فهم لظاهرة اجتماعية أو نفسية يكون عبر البحث. هذا الفهم هو شرطٌ مسبق لأي قرارات إضافية حول ماهية أي مشروع مزمع تنفيذه لتقديم "المساعدة" للمجتمع.

ما عسى المرء أن يقول عن مجتمع كالذي هو في سورية ،حيث تتعايش العديد من الثقافات و الثقافات الفرعية وتلك المضادّة منها؟

كم هو هام أن نفهم لماذا انضم فرد أو أكثر لـ "داعش" بينما باقي أفراد العائلة لم يقوموا بذلك.

كيف بوسع المرء أن يفهم ماهي الاحتياجات التي من شأنها أن تمنع انخراطاً مستقبلياً في تنظيمات عنفيّة بينما العديد من الناس في مناطق أخرى من سورية كدير الزور و الرقة مازالوا مقتنعين حتى اللحظة أنّ "داعش" هي الحل الوحيد في المنطقة و في العالم الإسلامي و في اوروبا "الكافرة" ؟
من أجل فهم أفضل لتأثير الثقافة الوارد أعلاه، فإنّ عملاً لعالم بالأعراق البشرية من الممكن أن يكون وصفياً بدرجة كافية.

في إطار تشخيص انفصام الشخصية ،على سبيل المثال، هي هلوسات بصرية و سمعية تمثّل عنصراً رئيسياً لصالح مرض عقلي في الغرب. عند دراسة الطوارق فإن الدكتور جاك حريقي (و هو طبيب نفسي و عالم بالأعراق البشرية) قد واجه عشيرة كاملة ترى و تسمع الأرواح.

هل سيعتبر أنّ كامل العشيرة تعاني من انفصام الشخصية أم أنّه سيكون من الحكمة أن يتم فهم المكوّنات الثقافية التي تدفع الطوارق لتبنّي إيماناً راسخاً بوجود الأشباح و بالتالي قيادة عقولهم لتحفيز هذه الهلوسات ؟

من قال بأن جعْل أطفال سوريا الذين شهدوا العنف يلعبون بالطين سيجعلهم يتغلّبون على صدماتهم ؟

هناك هوّة شاسعة بين تقييم لقياس كم المشاريع و بحثٍ يسعى لفهم و تحديد مجموعة من التوصيات للتنفيذ.
لعلّ الوقت قد حان لإجراء بحث لا يقتصر فقط على مجموعة من التوصيات و الحلول القائمة على البرهان، بل كذلك ينفّذه ضمن بيئة تتسم بفعالية التكاليف بالمقارنة مع نهج التجربة و الخطأ عالي التكاليف لإعطاء المضادّات الحيويّة في سبيل معالجة عدوى مقاوِمة.
لذلك على المرء أن يحدّد نوع العدوى و المضاد الحيوي المناسب الذي من شأنه القضاء على تلك العدوى.

مقدمة

إنَ دير الزور هي إحدى المحافظات السورية التي تأثرت بوجود التنظيمات المتطرفة التي حكمت و سيطرت على المنطقة لسنوات. أثّر هذا على حياة الناس اليومية بعمق كافي ،و زعزع استقرار المجتمع من خلال ترسيخ العنف.
و مما لا شكّ فيه أنّ السّياق الثقافي للمنطقة المتضمّن في بنية عشائريّة و عادات و تقاليد قد مهّد السبيل نحو توسّع سريع للتطّرف. في هذا الصدد دفعت بعض العشائر بصورة متعمّدة أعداداً من أفرادها للالتحاق بتنظيمات عنفيّة في سبيل الحفاظ أو اكتساب سُلطة ما على حساب عشائرَ أخرى.

البعضُ قاده الفقر، و البعضُ الآخر قادته أطماعه، للمشاركة في تنظيمات توفّر لأعضاءها مزايا ليست في المتناول.
و هكذا، فإنّ ليس من المبالغة القول أنّ العوامل الاجتماعيّة-الاقتصاديّة هي الدّافعة لأشخاص من دير الزور نحو الانضمام لتنظيمات عنفيّة. بيد أنّ تلك ليست فقط العوامل المحدّدة التي تدفع البعض، أكثر من غيرهم، نحو دائرة العنف المفرغة. و كما هو معروف علمياً فإنّ المحدّدات النفسيّة تقبع في طبقات عميقة لشخصيّة الأشخاص القادرين على ذبح كائن بشري.
في حالة "داعش" و التنظيمات العنفيّة المشابهة، فإن الدّين هو وسيلة، بينما العوامل الاجتماعيّة و الاقتصاديّة هي العناصر الميسّرة، و القابلية النفسيّة هي المحرّك الأساسي.
من نافلة القول أنّ منهج التحليل النفسي المفصّل للشخصيّة و بنيتها هو متضمّن بشكل واسع في تعميم علم النفس كمؤكّد على أنّ العدوانيّة هي من الدوافع البشرية الأساسيّة.
لقد ساهمت العوامل الاجتماعيّة و المتغيرات الاقتصاديّة إضافةً للعناصر الدينيّة بشكل كثيف في فهم مالذي قد يدفع أشخاصاً نحو التطرّف خلال الأزمة السوريّة. ما تبقّى هو أن نفهم الدوافع النفسيّة.

و عليه، فإنّ منهج البحث النوعي هو منهجٌ جوهري لمعرفة لماذا أصبح البعض أعضاءً في تنظيمات عنفيّة و البعض الآخر لايزال يؤمن بها بشدّة بحيث أنّهم من الممكن أن يصبحوا هم أنفسهم ، أو يحثّوا الآخرين، على أن يصبحوا حاضنةً لأي عنف قادم في المستقبل القريب. يوضّح المنهج أيضاً الفوارق بين المتغيرات المتأصلة في الأفراد و بين الدوافع الاجتماعيّة.
إنّ هذا العمل هو دراسة استرشاديّة أجريت قبل توسّعها إلى بحث كامل على منطقة دير الزور. تسمح الدراسة بالتطرّق الأولي لمعطيات الواقع في منطقة جغرافية و تتناول قضايا محتملة و مجهولة من شأنها تغيير مسار الدراسة لاحقاً.
إنّ الدراسة الاسترشاديّة ، و التي يشار لها بكلمة " تجريبية" في هذا العمل، هي المفتاح للفهم و السبر و البت فيما يجب القيام به بعد ذلك.

لماذا دير الزور؟

قد لايستدعي الأمر التأكيد على دور دير الزور في تطوّر التنظيمات العنفيّة و تمددها في سورية؛ ومع ذلك يغدو من المهم التشديد على دور البنى القبليّة وأثر الثقافة العشائرية في انتشار الإيديولوجيا العنفيّة بسهولة وتوجيهها عبر منطقة جغرافية متداخلة تصلَ حلب السوريّة بالأنبار العراقيّة.

مع بداية عام 2012 استضافت دير الزور، ثاني أكبر محافظة في سورية، زهاء مليون و سبعمائة ألف نسمة. وعلى الرغم من أنّ أعداد الذين التحقوا بالتنظيمات العنفية في دير الزور ليس واضحاً؛ إلا أنّ معتنقي الإيديولوجيا الجهادية ما انفكوا يظهرون رغبتهم بالعودة للحياة تحت مظلة التنظيمات العنفيّة، والعديد من هؤلاء موزعين الآن في أنحاء سورية وتركيا، وحتى في بلدان أوروبا.

المنهجية:

1- البحث النوعي:

على مدار ثلاثة أشهر، تمّ إعداد هذه الدراسة الاسترشاديّة كتطبيق لبحث نوعي حيث قام باحثون ميداينيون من "العدالة من أجل الحياة" –وهي منظمة غير حكومية– بإجراء مقابلات شخصية مع عينات مشاركة في تنيظيمات عنفيّة وأفراد مقربين منهم.
إنّ إشراك الأشخاص الذين هم على صلة بالعيّنة من شأنه أن يملئ الفراغ الناجم عن المقابلات التي أجريت مع العّينة نفسها. هذا يوفّر أيضاً وجهات نظر متعددة حول الحالة محل الدراسة و تسمح بمتابعة العيّنة في حال ظهور تباين مع الأشخاص الذين أجريت مقابلات معهم. علاوةً على ذلك، فإنّ مقابلة الأقرباء و الأصدقاء تتيح الوصول غير المباشر للعيّنات غير المتاحة بسهولة لإجراء المقابلة معها بسبب تخوّفها من ذلك، بالواقع مشاركين بعمليات قتاليّة، أو لا يرغبون بالحديث.

إذ تبحث المنهجية عن إجاباتٍ لاستبيانٍ تم تصميمه بشكل يضمن جمع بيانات نفسية واجتماعية حول المراحل المختلفة لتطوّر العيّنات محل البحث.

يتيح البحث النوعي لعينة الدراسة المستهدفة الإجابة عن أسئلة مفتوحة، وذلك من أجل تحديد متعمّق للعوامل والمتغيرات المسببة. ففي معظم الأحيان تساعد إمكانية تعبير العيّنة عن نفسها في الحصول على موقع كاف للحظ عدد كبير من العوامل، والتي قد تصبح غير ملحوظة من خلال الأسئلة المغلقة. كما يساهم هذا أيضاً في الحدّ من عدد الاسئلة، والتي تخفّف بدورها العبئ عن كاهل الباحث الميداني و العيّنة محلّ الدراسة، وتقلل الشعور بعدم الأمان بين طرفي العمل، والناتج أحياناً عن أسلوب جمع المعلومات الذي قد يبدو كاستجواب، خاصة عندما تكون الأسئلة مُصاغة في سياق الحديث عن الحياة اليومية.

2- الاستبيان

اقتضت الدراسة أن يتمّ جمع بيانات ديمغرافيّة أساسيّة، من شأنها تزويد الباحث بإمكانية لحظ أثر الثقافات الفرعيّة ضمن المنطقة المدروسة، والتي تتضمن عشائر وعشائر فرعية وعائلات. إذ يبحث الاستبيان عن معلومات أساسيّة حول مراحل مختلفة من تطور عيّنة الدراسة، عبر أسئلة تضمن فهماً لمتتالية الطبيعة والتنشأة وأثرها في تشكيل شخصيّة العيّنة. كما تحدد أيضاً نمط العلاقة مع بيئة أوسع تتجاوز حدود المنزل، وتبحث في آثار مقدّمي الرعاية و الأقران على تطوّر العيّنة (أصدقاء، عائلة، عشيرة).

وقد تمّ تقسيم الاستبيان إلى ثلاث مراحل مختلفة وموازية لمراحل تطوّر الفرد، حيث تبدأ الأسئلة برسم خط الأساس للنمو البشري، والذي يستمر مروراً بمراحل مختلفة من المراهقة إلى الرشد- في حال وصول العيّنة لهذه المرحلة- ليتمّ النظر في مسار تطوّر الشخصيّة والتحقق من انحرافات محتملة عن المعايير. كما يتناول القسم الأخير من الاستبيان فترة إلتحاق العيّنة بتنظيم عنفي-في حال تم ذلك- إذ يعدّ استعراض العلاقات والتغيّرات الشخصيّة مكوّناً أساسياً في هذه المرحلة.

مراجعة العلاقات والتغييرات الشخصيّة يشكّل المكوّن الرئيسي لهذه المرحلة. تم اعتبار الأشخاص الذين كانوا على حافّة الالتحاق بتنظيمات عنفيّة كجزء من هذه الدراسة، خاصةً أنّهم شكّلوا قوّة دافعة للآخرين نحو الانضمام.

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال تصميم الاستبيان واستخدامه في المقابلات؛ تمّ لحظ الخصوصيّة الثقافيّة للمنطقة، إضافة لأجزاءها الفرعيّة.

.

وخلال مرحلة جمع البيانات وتوفّر العيّنة محل الدراسة للمقابلة؛ تمّ تدريب القائمين بالمقابلات على كيفيّة التحدّث معها بشكل مباشر وجمع الإجابات مع أكبر قدر من التفاصيل.

وفي سبيل إتمام هذا العمل، تمّ توجيه الباحثين الميدانيين بأن يضعوا في أذهانهم سؤال "لماذا"، متى شعروا بأنّهم لم يفهوا شيئاً من الإجابات، مع الحرص على تجنّب دفع العيّنة لحدود عدم الأمان.

إضافة للعيّنة نفسها، يتم مقابلة فرد أو أكثر من عائلتها وتوجيه نفس الأسئلة. وعلى نحوٍ مشابه يقدّم صديق أو جار العيّنة معلومات أكثر لنفس الأسئلة، ويقوم بسدّ الثغرات التي لم يسبق للعيّنة أو دائرتها العائليّة المقرّبة سدّها، فمع تحوّل الاسئلة إلى شكل غير مباشر مع الأقرباء ،تعطي الأجوبة وجهات نظر مختلفة، بالإضافة إلى معطيات أُخرى ليست معروفة غالباً للعيّنات أو قد تمّ إخفاؤها عن قصد خلال المقابلة وجهاً لوجه.
تضمنّت المقابلات غير المباشرة إناث من العائلة في حال توفّر ذلك. أجريت مقابلات لثلاث نسوة: أمّهات اثنتين و أخت.
إضافة لذلك، توفّر المقابلات غير المباشرة بيانات حول العيّنات محل الدراسة اللواتي لم يتاحوا للاستبيان كونهم كانوا إمّا أعضاء نشطين لتنظيمات عنفيّة لا يرغبون بالحديث أو خائفين أو غائبين كونهم في أرض المعركة.

3- الباحثين

تمّ إعداد الدّراسة من قبل باحث رئيسي، إضافة إلى ثلاث باحثين ميدانيين من شباب المنطقة محلّ الدراسة ممن يعملون في منظّمات غير حكوميّة ويمتلكون خبرة في المقابلات والتقييم وإعداد التقارير ممتدة على سنوات. إذ يتمتع هؤلاء الشباب بأفضلية انتماءهم لنفس المنطقة والثقافة.

وعلى الرغم من أنّ الباحثين الميدانيين قد يمتلكون اختلافات ثقافيّة فرعيّة تميّزهم عن عيّنة الدراسة؛ إلا أنّ سنوات خبرتهم مع منظمة "العدالة من أجل الحياة" ساهمت في تقليل التوتّر القائم على تعدد الثقافات، والذي عادة ما يقود العمل الميداني إلى اللاحركيّة.

بالمقابل، فقد تم تدريب الباحثين الميدانيين على التعاطي مع الاستبيان من خلال اتصالات عن طريق تطبيق WhatsApp. حيث تمّ تقديم هذا التدريب من قبل الباحث الرئيسي. كما كانوا تحت متابعة متواصلة من قبل المدير التنفيذي لمنظمة "العدالة من أجل الحياة" السيّد جلال الحمد، وذلك للوقوف على الصعوبات المحتملة والاحتياجات وتقديم توضيحات إضافية لمعلومات غير واضحة أو غير كافية تم لحظها في الإجابات عن أسئلة الاستبيان.

صمّم الباحث الرئيسي، الدكتور ابراهيم شلهوب، الاستبيان ودرّب الباحثين الميدانيين على كيفيّة تعبئته. إضافة لقيامه بمراجعة المادّة بحثاً عن أي معلومات إضافيّة عند الحاجة. كما يقرّر الباحث الرئيسي أهميّة مقابلات معيّنة و يطلب مقابلة أشخاص آخرين معنيين بقضيّة عيّنة محدّدة، في حال كانت الحالة تتطلب المزيد من التوسّع، مقابل تحليله البيانات وإعداد التقرير النهائي بالتنسيق مع "منظمة العدالة من أجل الحياة".

والجدير بالذكر، أن الباحث الرئيسي هو محلّل نفسي حاصل على شهادة الدكتوراه في علم النفس، ويعمل في حقل التدريس الجامعي ضمن جامعات لبنان منذ العام 2006 وله باعٌ في العمل البحثي منذ العام 1999.

4- الحيّز الجغرافي الذي تغطّيه الدراسة

تغطّي الدراسة الاسترشادية محافظة دير الزور، كما تغطّي الحالات مدينة دير الزور ومدن تتمتّع بأهميّة رمزيّة في تطوّر التنظيمات العنفيّة مثل "البوكمال" و "الميادين". وتأتي الحالات أيضاً من بلدات تقع في الأرياف الغربيّة والشرقيّة للمحافظة. تمّ عقد مقابلات مع أناس في مدنهم. مع ذلك تمّ إجراء مقابلات في مدن سورية أخرى مثل "الباب" كون جزء من العيّنة محل الدراسة هم نازحين داخلياً.

5- معيار التضمين و الإقصاء

كون البحث هو دراسة استرشادية جاء التضمين أكثر مرونة من دراسة بحثيّة كاملة. هذا يسمح بالكشف عن مختلف أنماط الحالات بمافيها تلك التي لم يتم التفكير بها من الناحية النظرية.
مع ذلك لم تتضمن الدراسة الاسترشادية الأعضاء الميّتين كعيّنة أساسيّة للدراسة كون ذلك من الممكن أن يكون موضوع بحثي بحد ذاته. يركّز معيار التضمين على الناس الأحياء و الذين اقتنعوا أو كانوا مقتنعين أو الذين غيروا وجهة نظرهم حول الانضمام للتنظيمات العنفية في دير الزور و الذين باستطاعتهم الحديث عن أنفسهم إن أمكن ذلك. كما يركّز أيضاً على الذين لا يتم الاقتراب منهم بسبب عدم رغبتهم بالحديث للباحثين لأي سبب كان بما في ذلك كونه ما زال عضواً نشطاً في التنظيم أو كان خائفاً أو لأسباب أخرى. تمّت دراسة هذه المجموعة عن طريق مقابلات غير مباشرة باستخدام الأقارب و الأصدقاء و الجيران.
إن السبب وراء تضمين هذه المجموعة في الدراسة هو أنّ هؤلاء الاشخاص مازالوا على قيد الحياة و من الممكن الاقتراب منهم لاحقاً في حال تمّ إعداد دراسة بحثيّة كاملة. لذلك الأشخاص أو الأعضاء الناشطين أو المنشقين و أولئك الذين يحملون وجهة نظر التنظيمات العنفية في دير الزور يشكّلون موضوع العمل. إنّ "جبهة تحرير الشام" و" داعش" هما التنظيمين الذين تضمّنتهما الدراسة كونهما أبرز التنظيمات المؤثّرة في نطاق الدراسة الجغرافي و تركا أثراً مستمراً على سكانها.
ملحوظة: الأشخاص الذين يحملون فكر "داعش "و/أو "هيئة تحرير الشام" (أو ما يعرف بـ"النصرة") هم أولئك الذين كانوا على وشك الإنضمام للتنظيمات العنفيّة لكنهم لم يفعلوا لأسباب متعددة منها التقدّم في السن و المرض و الإعاقة البدنية أو الخوف. هؤلاء الاشخاص كان لهم تأثير مهم على الآخرين اللذين قرروا الالتحاق و لا يزالوا يمتلكون التأثير على المجتمع. يتمّ اعتبارهم عوامل محفّزة للعنف.
لم يكن مقصوداً إقصاء النساء من الدراسة. في الواقع تمّ مقابلة امرأة شابّة لكنها رفضت الإجابة على أسئلة الاستبيان. كان من الجّلي أنّها كانت بحاجة لباحثة ميدانيّة أنثى لتشعر بالرّاحة معها. هذا ما يتيح فرصة القيام بدراسة استرشاديّة أخرى تركّز على عينات إناث ضمن تنظيمات عنفيّة و دور النساء في دير الزور في التأثير على الأشخاص لالتحاقهم تنظيمات متطرّفة.

و لذا فإنّ الدراسة اقتصرت فقط على الذكور من العيّنات و الباحثين الميدانيين. وفّرت الدراسة بيانات حول عامّة جمهور تنظيمات متطرّفة لحقيقة أنّ غالبيّة أعضاءها هم من الذكور و لذلك هم يمثّلون غالب جمهور الدراسة. فمن الأيسر للباحثين الميدانيين الوصول لهكذا جمهور في حال كانت العيّنة من نفس جنس الباحث ضمن نطاق الثقافة الفرعيّة، وهذا ما تمّ ضمانه من قبل ثلاثة باحثين ميدانيين.

الصعوبات

بالإضافة للحقيقة المعروفة بشكل عام و هي أن السوريين عاشوا غالباً تحت وطأة حكومات قمعيّة فالدراسة البحثيّة تنطوي على صعوبات حقيقيّة إضافية ، و بشكل خاص في الشرق الأوسط و بشكل أخصّ في المناطق العشائريّة.
و بدرجة أكبر، فإنّ الملاحقة من القوّات المحليّة و الاقليميّة و الدوليّة تشكّل جداراً آخراً على الباحثين كسره لإتمام هذا العمل، هذا لأنّ الدراسة الاسترشادية تتعامل مع أعضاء بتنظيمات عنفيّة يعيشون ارتباكاً و إنكاراً اجتماعياً و شخصياً.

كان المفترض أن يتم تنفيذ العمل الميداني في أربعة مناطق مختلفة حيث يتواجد الباحثين الميدانيين؛ ثلاث من هذه المناطق في الداخل السوري و واحدة في تركيا (أورفا مع اللاجئين).
تمّ إنجاز العمل الميداني فقط في الأراضي السورية كون عيّنة البحث في تركيا أبدت رفضها في الإجابة على الاسئلة معتبرينها سبباً محتملاً لاعتقالهم من قِبل السلطات المحليّة أو تؤثّر على حياتهم في بيئة اللجوء و في المجتمع التركي الذين يعيشوا فيه.

من المعلوم أنّه من بالغ الصعوبة التواصل مع أعضاء نشطين في "داعش" لأسباب أمنيّة. و مع هذا، كان هناك ظروف مهدّدة للحياة جعلت من العمل الميداني شديد القساوة. في الواقع كان الفريق الميداني يخشى من الناس الذين تمّت مقابلتهم.

و بشكل عام، فإن القيام باستبيان و جمع معلومات عن أسئلة تعتبر حرجة جعل من الباحثين الميدانيين يشعرون بالخوف أثناء فترة الدراسة و بعدها بفترة وجيزة.

في بعض الحالات، كان الباحثون الميدانون هم الوحيدون القادرون على الحصول على إجابات من العيّنة محل البحث بفضل العلاقات الشخصيّة التي تربطهم مع نظراءهم.

إنّ المنشقّين عن داعش، و الذين لا زالوا مقتنعين بإيدولوجيا التنظيم و أولئك الذين يحملون المنظور الجهادي يعتبرون المجتمعات المدنيّة كافرة و يرفضون التعامل مع الأبحاث.
تمّ إقصاء بعض الحالات من البحث كون الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات قد رفضوا الإجابة عن بعض الأسئلة الجوهريّة كون هؤلاء الأشخاص ميّالون إلى أن يكونوا أقلّ ثرثرة ويصبحوا مغتاضين إذا طُلب منهم شرحاً أكثر. مع ذلك، اشتكت حالات أخرى من بعض الأسئلة التفصيليّة إلى حد أنّ الباحثين الميدانيين اضطروا لإيقاف المقابلة.
تمّ اتهام أحد الباحثين الميدانيين بأنه يعمل لصالح إحدى الوكالات الاستخباراتيّة العالميّة. هذا أحد الممارسات المتبّعة تجاه غالبية الأشخاص العاملين في المنظمات غير الحكوميّة. رغم ذلك، عندما يصدر مثل هذا الإتّهام من أناس متورّطين بتنظيمات عنفيّة فالمسألة تصبح خطيرة لدرجة تجعل من منظمة "العدالة من أجل الحياة" أن تقرر إيقاف الباحث من القيام بأية أعمال ميدانيّة على صلة بالدراسة الاسترشاديّة.

النتائج

تمّ دراسة اثنتا عشر حالة، جميعها كانت ذكوراً. ستكون حالات الإناث موضوع دراسة منفصلة تستدعي متطلّبات مختلفة كما ذكر سابقاُ في هذا التقرير.

بما أنّ كل حالة كانت موضع مقابلات متعددة و التي ممكن أن تتضمّن ما يشار له بـ"أصحاب التأثير" في اصطلاحات علم النّفس، نجَم عن العمل الميداني ثلاث و عشرون مقابلة تغطّي الحالات المتضمّنة. تمّ إجراء مقابلتين مع حالة الذكر الثاني عشر لكنّها لم تضّمن في الدراسة كون الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلة امتنعوا عن الإجابة على الاسئلة بطريقة تسمح لفهم لازم للوضع. كما رفضوا أيضاً مشاركة أي تفاصيل أخرى. تمّ إقصاء المقابلة الجزئية الوحيدة لعيّنة أنثى ، كما ذكر آنفاً، بسبب عدم كفاية المعلومات التي أدلت بها العيّنة و عدم قدرة الباحثين الميدانيين على تحقيق عمل أعمق. إنّ العيّنات الإناث في ثقافة فرعية عشائريّة تتطلب دراسة منفصلة من المزمع تنفيذها في مرحلة لاحقة بعد تأمين المتطلّبات الضروريّة كتوظيف باحثات ميدانيّات و ضمان "مصادر مُخبرة[1]" مناسبة.

أظهرت العيّنات الإحدى عشر كبتاً في عمر الطفولة من قِبل الوالدين. تنوّعت أنماط الكبت بين العلاقات مع الأقران و تطوّر الشخصيّة. لم يكن يُسمح للهوايات بأن تُمارَس. رفض أبو عبد العزيز بأن يطوّر ابنه أي هواية. " اعتاد أن يقول لي بأن هذا سلوكاً صبيانيّاً في غير محلّه من شأنه أن يمنعني من النّضوج".

كان الكبت الجنسي جليّاً خلال مرحلة الطفولة و المراهقة. لم يكن لأبو أحمد الأنصاري علاقات مع فتيات خلال مراهقته. يقول أخوه " كان خجولاً جداً. لم أره قط مع أي فتاة خارج العائلة و لم أسمع بأنه انخرط في قصّة حب، بالمقارنة مع أقرانه". اعتاد أبو أحمد التميمي على أن يكون "خجولاً من هكذا أمور" و لم يحظى بعلاقة مع فتاة ما".

لم يُسمح لأغلب الحالات بأن يكونوا مبادرين خلال الطفولة و يُعزى ذلك لتعزيز الارتباط للعائلة المباشرة. كان ذلك ظاهراً بشكل خاص عند وجود خلافات بين العائلة المباشرة و الأقارب. أبو أحمد ، عمره 32 عاماً، " كان لديه طفولة غير اعتياديّة موسومة بخلاف بين والديه و عائلة أخرى (من الأقارب) أدّت لموت عمّه". "كان أبي و أخي الأكبر دائمي الكلام عن الثأر الذي أودى بهما للسجن بعد قتلهما لشخصين متورطين في موت عمّي". قضى أبو أحمد وقته في الدراسة شتاءً و العمل صيفاً. " لم يكن بمقدوري أن ألعب متى أو أينما شئت. كان عليّ أن أجد عملاً قريباً من المنزل قدر الإمكان".

[1] مصطلح تقني مستخدم في مجال البحث النّوعي و الذي ينطوي على معنى المصطلح "مصدر"

الخلافات الوالديّة كانت مفرطة في بعض الحالات و التي أدّت لتشكيل هاجس الثأر من الأب أو ممثل السّلطة. في بيئة عشائريّة، لا يوجد توجيه لهذا المحرّك العدواني، بدلاً منه يوجد المزيد من الإحباط. يمكن لذلك أن يقود العيّنة للقفز في الاحتمال الأوّل لإنقاص الإحباط المتنامي من خلال العنف.

اتّصلت حالات أخرى بفقدان الأب السلطوي الذي نادراً ما يعود للمنزل لممارسة سلطته لينقل الضغط الذي يعاني منه في العمل إلى أولاده. أبو عبد الرحمن، على سبيل المثال، يقول "من ربّانا خلال فترة الطفولة كانت أمّي كون أبي في الغالب كان غائباً. و مع ذلك فقد اعتادت هي أن تأخذ كافّة التعليمات من والدي في سبيل تربيتنا على النحو الواجب".

نادراً ما يأتي والد أبو عبد الرحمن، الأب ذو السّلطة و الغائب شخصياً، إلى المنزل، لكن عندما يأتي "يعلّمنا بأن لا نرفع أصواتنا عالياً". الأب "القاسي" للرجل ذو الخامسة و الثلاثون عاماً كان في الجيش.

على سبيل الذكر، يقول أبو فاطمة للباحث الميداني بأنّه " كان هناك (بعض) السّعادة في طفولتي، كان أبي شديد القسوة معنا خلال أيام الطفولة. اعتاد على ضربنا و شتمنا لأتفه خطأ نرتكبه. كان يعاقبنا و لم يعرف العفو طريقاً إلى قلبه".

كان اضطّراب الهويّة ظاهرة عامّة بين الحالات الإحدى عشر. إنّ متتالية الشخصيّة هي لأشخاص هم في الغالب ضحلين كونهم لم يخوضوا أزمة هويّة على نحو سليم خلال سنّ المراهقة. سلّمت العيّنات بما قيل لها خلال الطفولة ولم يجرّبوا الشك بصورة مناسبة خلال مرحلة المراهقة. أصبحت هذه العيّنات محل الدراسة طرائد سهلة للعنف مما أدّى للسيطرة عليهم من قِبل التنظيمات العنفيّة، خاصّةً عندما تنكّرت تلك التنظيمات بلبوس المثل العليا. عادةً يصبّح ذلك سهلاً من خلال تحريف المعتقدات الدينيّة أو تعميمها لتصبح العيّنة عاجزة عن التشكيك، بل و تقبل ما يُمنح لها. على سبيل المثال، صُدم أبو الحارث لرحيل والده. يعتبر أبو الحارث، ذو الثاني و الأربعين عاماً، أنّ موت والده – على الرغم من تقدمّه في السن – "كان في لحظة دخولي الحياة بمعنى الكلمة". في الواقع هذا مثال نمطي لشخص لم يخض غمار أزمة الهويّة بشكل مناسب. هو شخص تنقلب حياته رأساً على عقب عند أي حدث من شأنه أن يمسّ معاييره الداخلية. لم تخضع تلك المعايير لأي لحظة شك خلال المراهقة. على العكس، تم استنساخها و نقلها لشخصيّة أبو الحارث، و معه العيّنات الإحدى عشر، دون أي تشكيك.

كان "الأنا" لدى الحالات محل الدراسة ضعيفاً. لم تستطيع تطبيق الدور الاعتيادي " ثابت لكن مرن" بين "الهويّة" و "الأنا الأعلى". كون "الهويّة" أصلاً مكبوتة منذ الطفولة، كما ذُكر سابقاً، فـ "الأنا" اندفعت بنفسها نحو "أنا أعلى" متّسعة. أصبحت العينات محل الدراسة طرائد للشك بالذات و ذلك بسبب افتقارها لصورة المرء بمثل عليا. هذا ما أدّى للقلق اللاواعي. و في المقابل، بدلاً من امتلاك "ضمير" يركّز على ما يُعتبر الحق و الباطل من منظور إنساني، شوّه السياق العشائري مبادئ "الأنا الأعلى" على نحوٍ يدعم فيه الاعتداد بالعرق حول العشيرة و العائلة.

بالنّسبة لهذه العيّنات ، يصبح الآخرون على خطأ و يستحقون الفناء. تعتمد التنظيمات العنفيّة الإيدولوجيّة كثيراً على نزعة الاعتداد بالعرق. فتزيل التنظيمات هذه العيّنات من بيئاتها المألوفة و تبدأ بالتلاعب بها. بعد ذلك، يتم تطبيق نزعة الاعتداد بالعرق على البيئة الجديدة و التي تم وضع العيّنة فيها، ألا و هي التنظيم العنفي، و بهذا يجعلون كل الآخرين على خطأ و يستحقون الموت.

الخُلاصة

وصلت مقاربة البحث النّوعي إلى المتغيّرات المختلفة في حياة العيّنة المدروسة. فمن الممكن مراقبة المتغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والدينيّة بسهولة نسبيّة خلال البحث. تمكّنت الدراسة الاسترشاديّة المنفّذة من تنقيب أكثر عن متغيّرات إضافيّة؛ ألا و هو القابليّة النفسيّة. تشير النتائج إلى أن العوامل النفسيّة تشكّل الأرضيّة لدفع النّاس في دير الزور إلى الالتحاق بالتنظيمات المتطرّفة كما تعتبر هذه العوامل المحدّدات الأوليّة لإرادة لشخص واحد لأن يصبح متطرّفاً. إنّ الخوصوصيّة الثقافيّة للمحافظة محل الدراسة و الظاهرة في السياق العشائري تخلق قناة تفاوت في القابليّة النفسيّة كما هي ظاهرة في تحوّل وجدان "الأنا الأعلى" القويّة من الحفاظ على حياة البشر إلى إبادتهم. إنّ تركيبة القابلية النفسيّة الداخليّة و التي لا غنى عنها مع العوامل الخارجية آنفة الذّكر تصنع "الخلطة السّحريّة" النهائية و الفعّالة للتنظيمات المتطرّفة من أجل استقطاب الناس للانضمام إليها.

التوصيات

استُخلصت نتائج هذه الدراسة الاسترشاديّة من الاستبيان. كما توفّر هذه النتائج بيانات أوليّة تشير إلى خلاصات محددّة متّصلة بالعوامل النّفسيّة وراء الانضمام إلى تنظيمات متطرّفة. و مع ذلك، فإن الدراسة النوعيّة تتطلب تحقق و الذي يمكن إنجازه فقط من خلال عمليّة كمّيّة عبر عيّنة كبيرة إحصائياً من السكان.

لذلك ، من المستحسن توسيع الدراسة الاسترشاديّة الحاليّة لدراسة بحثيّة كاملة تتضمّن أعداداً أكبر من الحالات المدروسة. دراسة كهذه ليس من شأنها فقط التأكيد على الخلاصات،كما ذكر سابقاً، بل من الممكن أن تتيح تجميع الحالات بناءً على النسبة المؤيّة أيضاً. بمعنى آخر، سيكون هناك نسبة مؤيّة لكل نتيجة مستخلصة من الدراسة بناءً على عيّنة كبيرة إحصائيّاً. من المتوقع أن يستغرق البحث النّوعي مدّةً تتراوح بين ستّة أشهر و عام واحد.

خلال هذه المدّة، من الممكن تناول حالات الإناث في سبيل مقارنتها مع البيانات المتوفرة للذكور. ستُقرّر النتائج الأوليّة حول الأعضاء الإناث لمجموعات متطرّفة ماهيّة الخطوة التالية حول عيّنة سكانيّة محددة. في نهاية المطاف، إمّا سيتم تضمينها في الدراسة النوعيّة المزمع تنفيذها، أو ستتطلّب عملاً منفصلاً ، و ذلك بناءً على المخرجات.

إنّ دراسةً مقارنة منفصلة قائمة على منهجيّة و مخرجات الدراسة الاسترشاديّة التي تم تنفيذها من شأنه أن يظهر إذا ما كانت النتائج قابلة للإستنساخ في مناطق أخرى كالرقة و الحسكة. هذا سيغطّي منطقة شمال-غرب سوريّة. ستبيّن النتائج إذا ما كانت البيانات ستضاف لاحقاً إلى الدراسة النوعيّة الموصى بها ،أو ستتطلّب عملاً مختلفاً.

فضلاً عن ذلك، إمكانيّة انعكاس التنظيمات المتطرّفة كوسيلة لمنع تطوّرها و تحييد قدرتها على جذب الناس إلى شبكاتها سيشكّل مقاربة فعّالة، و التي لم يتم تطبيقها بعد. هناك توصيه مهمّة و هي إنشاء شبكة لخلايا السّلام و التي تقابل الخلايا النائمة للتنظيمات العنفيّة. سيكون هناك خلايا سلام نائمة قادرة على تعزيز الأفكار التي تحارب الإرهاب من جهة، ومن جهة أخرى بناء شبكة بلا هيكليّة واضحة قادرة على التغلغل في المجتمع بصورة أسهل من أي شكل آخر من أشكال منظمّات محاربة الإرهاب. إنّ غياب هيكلية واضحة المعالم لشبكة الخلايا النائمة هذه سيقلل قدرة المتطرّفين على استهداف الخلايا. سيسمح ذلك أيضاً بانتشار أسهل للخلايا النائمة كونهم لا يجعلون الأعضاء يشعرون بالضغط على حياتهم اليوميّة، الشعور الذي من الممكن أن يشعروا به في حال التنظيمات المهيكلة. هذا ما يتم لحظه مع متطلبات التنظيمات فيما يخص كتابة التقارير و التحلّي بالانتظام في الأداء اليومي. سيشعر أعضاء هذه الخلايا بحريّة التصرف على وتيرتهم الخاصّة.

سيتم اختيار الأفراد تماماً كما يختار المجنّد متطرّفاً محتملاً. إنّ المنظّمة غير الحكوميّة المعنيّة بعملية التوظيف هذه ستكون قادرة على إيجاد هؤلاء المرشّحين من خلال مناسبات تنّفذها المنظمة على سبيل المثال. يمكن لحظ المرشّحين لخلايا السلام من بين المشاركين و تفاعلهم النشط.

سيكون هناك وسائل أخرى لإيجاد المرشّحين المحتملين عبر علاقات مبنيّة سابقاً مع الأشخاص الذين تمّت مقابلتهم ضمن أي تقييمات أو أبحاث سابقة.

في النهاية، سيعني ذلك أنّ الأشخاص الذين من الممكن أن يكونوا حاضنة لتنظيمات عنفيّة مستقبليّة سيكونوا مقاتلين من أجل السلام. و تستطيع هذه الخلايا أن تنتشر من خلال ما يمكن وصفه "النموذج المُعدي". ستكون القوّة الموجّهة للعدوى هي الأعضاء الذين باتوا جزءً من خلايا السلام النائمة.

بُغية تحقيق هذه الشبكة، من المهم ألا يغيب عن البال أنّها يجب أن تكون مشابهة لأفراد الإرهابيين الذين تعدّهم "داعش". هذا سينطوي ذلك على العديد من الأفراد، أكبر عدد ممكن، الذين سيكافحون لاحقاً الأفكار المرتبطة بالإرهاب ، و يحافظون على ازدياد أعدادهم.

مسرد

الأنا: هو جزء من بنية الشخصية و الذي يمتثل لمبدأ الواقعيّة القائلة بأنّه يجب أن يكون هناك رضا مؤجّل لدوافع أساسيّة حتّى يكون الزمان و المكان مناسبين. تقف "الأنا" في موضع ثابت لكنه مرن بين "الهويّة" و "الأنا الأعلى"، و التي هي العناصر المكوّنة لبنية الشخصيّة.

الاعتداد بالعرق: هو سلوك يحتذيه شخص ما تجاه الآخرين الذين ليسوا أفراداً في مجتمعه أو ثقافته أو مجموعته. يَعتبر هذا السلوك الآخرين الآنف ذكرهم بأنّهم على خطأ بينما أي شيء على صواب يأتي فقط من ثقافة صاحب هذا السلوك.

الهويّة: هي جزء من بنية الشخصية و الذي يمتثل لمبدأ السرور الباحث عن رضى الدوافع الأساسيّة بغضّ النّظر عن الوضع الخارجي و تجنّب أي ألم.

اضطّراب الهويّة: هو حالة يبدو فيها البالغ ضحلاً و غير قادر على الوصول لقرار واضح، و تائه أثناء وقوع أي حدث من شأنه تحدّي معتقداته.

التفاعلات الاستباقيّة: السلوك الذي يحتذيه طفل كبر بشكل كافي و أصبح قادراً على البدء بمبادراته الخاصّة خارج بيئته المنزليّة التي أنشأها والداه.

الأنا الأعلى: هي جزء من بنية الشخصيّة و التي تحوي على صورة المثال الأخلاقي و الوجدان و المعايير المتشرّبة من المجتمع. هو القاضي الذي يحدد ما هو الصواب و ما هو الخطأ.

JFL
JFL.ngo
منظمة العدالة من أجل الحياة
Justice for Life Organization
JFL
JFL.ngo
@JFLngo